المواسم والمواكب الرسمية في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830 (أطروحة دكتوراه)

The seasons and official processions in Algeria during the ottoman period 1519-1830 (Doctorate thesis)

يوسف بوسعدة

جامعة غرداية

youcef.boussada.1991@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/02/15 تاريخ القبول: 2026/02/29

الملخص

يتناول هذا البحث المواسم والمواكب الرسمية في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني (1519–1830)، بوصفها إحدى أهم الآليات الرمزية التي اعتمدتها السلطة لترسيخ شرعيتها السياسية وتعزيز نفوذها داخل المجتمع. ويهدف إلى تحليل البنية الاحتفالية للمناسبات الرسمية، والكشف عن وظائفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، واستجلاء دلالاتها الرمزية في تشكيل العلاقة بين الحاكم والمحكوم. واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، مستندةً إلى طيف متنوع من المصادر، شمل الأرشيف الأجنبي، ولا سيما مراسلات القناصل، والأرشيف المحلي، والمذكرات، والمصادر التاريخية المعاصرة، بما أتاح إعادة بناء مختلف أشكال المواسم والمواكب الرسمية. وقد خلصت الدراسة إلى أن السلطة العثمانية حافظت على جانب معتبر من الموروث الاحتفالي المحلي مع إدماج عناصر عثمانية جديدة، ووظفت الاحتفالات الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية أداةً لإنتاج الشرعية، وترسيخ الهيبة السلطوية، وبناء الولاءات عبر منظومة متكاملة من الطقوس والمراسم والعطاءات. كما أبرزت النتائج الدور المركزي للرمزية السياسية والسخاء السلطاني في تثبيت النظام العثماني وضمان استمراره، مما يجعل المواسم والمواكب الرسمية مدخلاً أساسياً لفهم الثقافة السياسية وآليات ممارسة السلطة في إيالة الجزائر خلال العصر العثماني.

الكلمات المفتاحية: إيالة الجزائر؛ العهد العثماني؛ المواسم الرسمية؛ المواكب الرسمية؛ الشرعية السياسية؛ الرمزية السلطوية؛ الثقافة السياسية.

Abstract

This study examines the official festivals and ceremonial processions of the Regency of Algiers during the Ottoman period (1519–1830) as symbolic instruments through which the Ottoman administration constructed political legitimacy and reinforced its authority within society. It analyzes the ceremonial structure of official occasions and explores their political, social, and economic functions, as well as their symbolic significance in shaping relations between rulers and subjects. The research adopts a historical-analytical approach based on a wide range of primary sources, including foreign archival records—particularly consular correspondence—local archival documents, memoirs, and contemporary historical accounts. The findings demonstrate that the Ottoman authorities preserved important elements of the local ceremonial heritage while incorporating Ottoman imperial traditions into official rituals. Religious, political, military, and social ceremonies were deliberately employed to consolidate state authority, strengthen public loyalty, and communicate political legitimacy through a sophisticated system of ritual practices, public ceremonies, and ceremonial patronage. The study further highlights the central role of political symbolism and official generosity in sustaining Ottoman rule in the Regency of Algiers, demonstrating that official festivals and processions provide an essential framework for understanding the political culture and mechanisms of governance in Ottoman Algeria.

Keywords: Regency of Algiers; Ottoman Period; Official Festivals; Ceremonial Processions; Political Legitimacy; Political Symbolism; Political Culture.

1. التعريف بموضوع الدراسة:

مثّل انضمام الجزائر للسلطة العثمانية سنة 1519 تحولاً مفصلياً واجهت فيه السلطة العثمانية الحديثة تحديات متعددّة كان علها مواجهتها بهدف تثبيت وجودها، ومما انتهجته السلطة الجديدة لكسب شرعيتها وتعميق نفوذها، اعتناؤها بالصورة التي تودّ أن تظهر بها لدى الرعية، وذلك لا يكون إلا عن طريق مناسباتها الرسمية متبعة مراسم وطقوس معينة.

وهدفت دراستنا إلى تحليل "المواسم والمواكب الرسمية" كأدوات رمزية وسيميائية لبناء الواقع الذهني لدى المجتمع، واستيعاب أكثر لإشكالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم في إيالة الجزائر العثمانية؛ إلا أن هذه الإشكالية تجعلنا أولا نبحث عن المناسبات الرسمية، وحين اطلاعنا على المادة المعرفية وجدنا أنه بإمكاننا تقسيمها إلى: مناسبات دينية، عسكرية، اجتماعية ومرتبطة بالطبيعة والتصوف.

ونظراً لغياب الخطاب الرسمي المحلي مقارنة بالسلطات المجاورة تونس والمغرب، اعتمدت الدراسة على تنويع المصادر ما بين الأرشيف الأجنبي المتمثل في مراسلات القناصل باعتبار تواجد هؤلاء الدائم في أغلب المشاهد والمراسم، وبالتالي وصفهم للمواكب والمراسم، وفي نفس الوقت ضبط تمثّلاتهم نحوها، وكذا الأرشيف المحلي الذي ساهم في فهم العلاقات بين السلطة المركزية والبيالك والمشيخات من خلال المناسبات المعتمدة في بعدها المركزي والبايلكي، وكذا النفقات والعطاءات التي كانت تبذلها السلطة، بالإضافة إلى مصدر المذكرات التي تنوعت ما بين مذكرات الشخصيات البارزة كأحمد شريف الزهار وحمدان خوجة وكذا مذكرات الأسرى التي ساهمت بدورها أيضا في استكمال أجزاء المناسبات الرسمية وتحديد تحولاتها المختلفة

2. إشكالية الدراسة:

وقد حاولنا في دارستنا الإجابة على الإشكالية التالية:

إلى أيّ مدى عرفت السلطة العثمانية بالجزائر ثراء في رزنامة مناسباتها الرسمية؟ وكيف تفاعلت مع الموروث الزياني؟ فهل حافظت عليه وأدمجته ضمن نواميس احتفائها أم حاولت إقصاءه؟ وما هي مختلف التحولات التي عرفتها المناسبات الرسمية في بنيتها الشكلية والنفقات والعطاءات المرتبطة بها؟ ثم ما مختلف الأدوار الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المناسبات الرسمية، وما الحمولات الرمزية التي ابتغتها السلطة من ورائها؟

3.الخطة المتبعة في إنجاز الدراسة:

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا خطة تتضمن أربعة أبواب كاملة نلخّصها فيما يلي:

1.3 المواسم الدينية الرسمية بإيالة الجزائر، إحياء مراسيمي متباين وثراء في المخزون الرمزي الديني

إنّ ثراء رزنامة المواسم والمناسبات الدينية الإسلامية يدفعنا للبحث حول تعامل السلطة العثمانية مع هذه الرزنامة الثرية، خصوصا وأن هذه السلطة ذات خلفية دينية إسلامية، وأن تواجدها كان في الوهلة الأولى لغرض ديني بالجهاد ضد دار الكفر، مع أنّ التحديات التي صادفتها من كسب شرعيتها وحلولها بعد السلطة الزيانية وتعدّد الفئات المكونة لمجتمع الإيالة، يحيلنا إلى الآليات الرمزية التي جنّدتها خلال الاحتفالات وفي تعاملها مع الموروث الزياني وفي نفس الوقت تأطيرها مع رزنامة المناسبات الدينية الخاصة بأهل الذمة.

ومن بين أهم النتائج التي توصّلنا إليها في هذا الباب:

-أنّ رزنامة المناسبات الدينية للسلطة العثمانية بالجزائر قد عرفت ثراء وتشابها مع السلطات السياسية المجاورة، وتمثلت في عيدي الفطر والأضحى وموسم الحج ومناسبة عاشوراء وصلاة الجمعة، حيث حافظت نسبيا على الموروث الزياني مع بعض التأثيرات الطبيعية الخاصّة بالباب العالي، إلا أنّ المفارقة تكمن في قلة ظهور السلطة في المناسبات الدينية الأخرى، خصوصا ما عرف بليالي القنديل، حيث تفرّدت في هذا الأمر مقارنة مع ما هو موجود بالباب العالي والجارة التونسية.

-إنّ جرد رزنامة المواسم الدينية ومحاولتنا لتركيب محتواها الشكلي، يبيّن لنا أنّ السّلطة العثمانية التي استقرّت في الجزائر لأزيد من ثلاثة قرون وتعاقب أنظمة حكم في ظل التبعية للباب العالي، حافظت بنسبة كبيرة على نفس نواميس الاحتفاء بالمناسبات الدينية رغم التّطوّرات السياسية وطول المدّة الزّمنية؛ حيث كان النص التاريخي يركّب لنا صورة مقرّبة عن الاحتفاء دون إبراز تحوّل واضح فيها، ما يحيلنا إلى رسوخ الحكام على خطاطة وصورة نمطية دينية واحدة، وتدلّ هذه المحافظة من الحكام على قناعتهم بنجاعتها في تمرير مستهدفاتهم الرمزية في الوعي الجمعي للرعية.

-تعاملت السّلطة العثمانية في الجزائر مع اليهود على أساس النّظام الذمّي مع فرض بعض التّقييدات التي تمايزهم عن بقية فئات المجتمع الجزائري. وقد حدث بعض التّمرّد على هذا النظام الذي جاء نتيجة للوافد اليهودي الجديد ذي الخصوصيات المعيّنة (الليفورنيون)؛ وكذا تساهل بعض الحكّام كفترة مصطفى باشا (1798-1805) (دهبية، 2016، صفحة 117)؛ كما كان هنالك تقبّل وتسامح من السّلطة في الرزنامة الاحتفالية الثّرية لليهود، بل وبلغ صداها عند الرّعية المسلمة، حيث تمازجوا وتهادوا في بعض احتفالاتهم. وأمّا المسيحيون فقد كفلتهُم المعاهدات والاتفاقيات، بالتوازي مع الأمان الذي منحته الدولة العثمانية للدول المسيحية بمقتضى نظام الامتيازات.

2.3 المواكب السياسية والطقوس القضائية، تدعيم للأسس السلطوية:

إنّ إلقاء الضوء على المناسبات السياسية أمر مهمّ جدا، لما لها من علاقة بالحكم وما قد تحمله من رموز ودلالات ذات الأثر المباشر في تعميق نفوذها على محكوميها، وإنّ البحث عن ثراء رزنامتها والفئات المستهدفة من إحداثها يُعِيننا في رسم الأسس البنيوية للسلطة؛ إذ إنّ التغيرات التي طالت طبيعة الحكم العثماني في الجزائر من حيث طريقة التولية ودور مؤسسة الحل والعقد وتدعّم استقلالية الإيالة عن الأستانة، جعلت من المواكب السياسية متحولة حسب المتغيرات، وهو الأمر الذي حدث حتى في البيالك الثلاثة، بل بالمشيخات الموزعة في المجال، ولذلك تتبعنا مختلف الطقوس والمراسيم على هذه الأجزاء الثلاثة. وفي نفس السياق، فإنّ الممارسة القضائية التي اشتمل أداء الفاعلين فيها على طقوس معينة ومحدّدة، وحمل فضاؤها البنيوي على صور تبيّن اهتمام السلطة بها وبتمرير أجندتها، تجعل دراسة هذا الجانب مهمّا جدا في استقراء الأسس السلطوية أيضا.

ومن بين أهم النتائج التي توصّلنا إليها في هذا الباب:

-عرفت مناسبة موكب تولية الباشوات في الجزائر حدوثا وتعدّدا، لكنها كانت أقل نسبيا مقارنة بتونس والمغرب، فهي خاضعة للظروف السياسية والأمنية للبلاد، كما غلب عليها الطابع العسكري، حيث الحاكم ينتخب من داخل العينة العسكرية، وبالتالي ركّزت عليها السلطة في كسب ولائها وعقد مراسم تستهدفها، ونتيجة لهذا المسار فلم يحتج الحاكم لمواكب ضخمة من أجل هذه العينة، إذ تُجمل المصادر على أن الجانب المادي من رواتب وإحسانات كانت بمثابة المهدئ الساحر لكسب عيّنة الإنكشارية، فرضاها أمر مهم جدا فهي: "جهاز للإلزام بالإخلاص والولاء ويعتبر جزءاً أساسيا

من أسس السلطة" (حمودي، 2010، صفحة 47). وبالرغم من هذا التفسير الأساسي قد نضيف له أنّ تبعية السلطة بالجزائر للباب العالي، وما تزوّده الأستانة من نفوذ شرعي للباشوات جعل من حاجتهم لكسب ولاء الرّعية من خلال رموز ودلالات المواكب أمرا ثانويا، وهو عكس ما حدث بالمغرب، وبشكل نسبي في تونس العثمانية نظرا لحاجة الأسر الحاكمة لتثبيت وجودها داخل فئات المجتمع.

- اعتمدت السلطة العثمانية فلسفة في حكمها تمثلت في نظام تسيير محكم على شكل سلسلة مترابطة (حماش، 1998، صفحة 35)، تبتدئ بشكل أساسي في شيخ القبيلة مرورا بالباي، ثمّ يتزعمها باشا الجزائر مع تقديم لكلّ حاكم على مستوى وحدته لسلطة تكاد تساوي سلطة الباشا في الجزائر، فعمل كلّ منهم على القيام بنواميس وبروتوكولات محدّدة أثناء تعيينهم في منصبهم لما تحتويه مثل هذه النواميس على رموز سياسية وسيادية، إلا أنّ خبرة العثمانيين لم تجعل من هذا النظام أمرا مجمدا على حالة واحدة، بل إنّنا نرى أنّ فيه ليونة في استعماله حسب الظروف، فحافظوا على القوانين المحلية ومزجوها بنظمهم (معاشي، 2019، صفحة 145)، واعتمدوا سياسة محايدة على مستوى كلّ بايلك أو مشيخة، وهو ما تمثل في المراسم المتبعة في التولية الهادفة إلى تدعيم نفوذها وسلطتها

- عرف القضاء في الجزائر تنوعا وتحوّلا في مجال انعقاده والفاعلين فيه، لكن بالرغم من ذلك استطاعت السلطة أن تمرّر كافة رموزها، مستغلة بذلك المعلَمة القضائية سواء في دار الحكم أو الجامع الكبير، أو من خلال الفاعلين الممارسين له من باشا وقضاة ومفات، حيث كان لمختلف المراسم والطقوس المتبعة والمتفق عليها دورا مهما في تمرير حمولاتها الرمزية المساهمة على تدعيم الأسس السلطوية.

3.3 المناسبات العسكرية، الاجتماعية، الطبيعية والمرتبطة بالتصوف: من الثّراء المواكبي والرمزي إلى ندرته

لقد ظلّ الوجود العسكري الظاهرة المميزة للحكم العثماني في الجزائر بل هو السمة المميزة له في مختلف الولايات العثمانية، وهذه الأهمية ترجع لكون جيوشها ساهمت بشكل كبير في توسيع مجالها في المشارق والمغارب، فأضحت الرّعية تنظر لهذه السلطة خصوصا في الجزائر بمثابة دار

الجهاد الإسلامي الواقف النّد بالنّد لدار الحرب في الجهة الشمالية للبحر المتوسط (الله، 1998، صفحة 141)، وهو ما يعني وجود ثراء في رزنامة الاحتفالات العسكرية، وفي المقابل قد يوحي أمر الثراء العسكري بفقدانه في بقية المناسبات المرتبطة بالجانب الاجتماعي والطبيعي والتصوفي.

ومن بين أهم النتائج التي توصّلنا إليها في هذا الباب:

- لاقت المواكب العسكرية اهتمام السلطة العثمانية بالجزائر، سواء تعلق الأمر بتلك الانتصارات التي تحرزها الأستانة والتي وجدت وقعا في الجزائر أو على مستوى الإيالة بركنيها البحري والبري، وهو ما يدعم فكرة السّمة العسكرية للتواجد العثماني بالجزائر، واستطاعت برموزها تزكية تواجدها ومشروعيتها.

-اهتمّت السلطة العثمانية في الجزائر بشكل كبير بمواكبها العسكرية المحلية، ويظهر ذلك في تلك المراسم المتبعة أثناء خروج المحلة أو عودتها منتصرة، فتكاد تتشابه مراسيمها بحيثيات التعدي الخارجي، وذلك ما يبيّن اعتبار السلطة لأي تهديد لكيانها ولو محليا أمرا يستوجب الاهتمام بجميع التفاصيل. وهو ما يتجسّد بشكل واضح في عملية التصفية التي تقوم بها ضدّ خصومها حيث شهد الثوار المحليون احتفاءات خاصة أثناء تصفيتهم، بل وتمّ كسر قاعدة التكتّم والسّرّية اتجاه الانكشارية إن هم ثاروا على السلطة ونقضوا البيعة. وقد تعمّد الحكام في هذه الاحتفاءات إلى الاستثمار في رموزها لتثبيت شرعيتهم وتسكين أيّ نوع من المعارضة، لذلك حرصت على استمراريتها طيلة حكمهم لما فيها من أجندة تخدمهم.

- كان استحداث المحلة الانكشارية والدنوش مرتبطا بقبوع الباشوات في عاصمة الإيالة فتمّ تعويضهم بهما كطريقة مثلى لتثبّت السلطة زمامها في دواخل البايلك، لذلك وجدنا أنّ التحولين الأساسيين كانا في استحداث دنوش الخليفة وكذا المظاهر الاحتفالية التي تصاحب قدومهم مع ما تحمله من ترسانة رمزية تصبّ في صالح السلطة. وهو أمر عمّم على مستوى جميع البيالك. وبالتالي فإن هاتين المناسبتين تثريان رزنامة المناسبات العسكرية للسلطة العثمانية في الجزائر.

- لم تجعل السلطة المناسبات المرتبطة بالطبيعة والتصوف ضمن المناسبات الرسمية المعتاد الاحتفاء بها، فحدوثها كان بمبادرات شخصية أو مقتصرة على بعض المراسم كخروجهم للتنزه أو

وفاة أحد الحكام المرضي عنهم، كما نجدها تنعدم وتقتصر على تقديم عوائد أو إحسانات مثلما هو الحال مع مناسبة يناير.

- عرفت المناسبات الاجتماعية للسلطة الحاكمة في الجزائر بعض الاحتفالات في ظروف معينة، تمثلت في زواج الباشوات ومناسبة ختان أبنائهم وزواجهم، ومن خلال الوقائع التاريخية يتبيّن أنها لم تكن من العادات المتعارف بها لدى السلطة، فإذا وجدت بعضها فكانت بمبادرات شخصية للحكام، فحتى القوانين والأجواء السائدة كانت تصبّ في هذا الأمر.

4- المناسبات الرسمية في الإيالة، بين الأدوار الاقتصادية ورمزيات سخاء السلطة

تلازمت الاحتفاءات المختلفة في المناسبات الرسمية بعطاءات كانت تبذلها السلطة لفئات مختلفة (Paradis, 1898, p. 112)، ونظرا لهذا الترابط والعلاقة العضوية ما بين المناسبات الرسمية والعطاء، فإن دراسة رمزياتها السياسية والاجتماعية يعتبر أمرا ضروريا للكشف عن تمثّل السلطة لعلاقة الحاكم بالمحكوم.

ومن بين أهم النتائج التي توصّلنا إليها في هذا الباب:

-أنّ السلطة العثمانية في الجزائر كانت تبذل نفقات معتبرة في مناسباتها الرسمية ذات الطبيعة الدينية أو العسكرية أو الاجتماعية، ما يعني أنّ الإنفاق موجود سواء في المناسبات القارة أو غير القارة، وقد اشتركت هذه المناسبات في نوع المادة المبذولة، والتي تمحورت حول المواد الغذائية لأجل المأدبات المختلفة باختلاف قيمتها حسب الحاضرين، وفي نفس الوقت نجد اختلافات أخرى حسب طبيعة المناسبة، فالمواسم الدينية عرفت خصوصية في نفقاتها، إذ كان هنالك اهتمام بالجانب الجمالي للمراكز الدينية. وفي نفس الوقت كانت السلطة تفاضل في قيمة نفقاتها خلال المناسبات الرسمية، حيث كانت الأفضلية للمناسبات العسكرية ثم الدينية ثم السياسية وأخيرا الاجتماعية، ما يعكس تمثّل السلطة لمناسباتها.

-لقد كان السخاء السياسي مرتبطا بجميع المناسبات الرسمية للإيالة، سواء في مناسباتها السياسية والعسكرية والاجتماعية وحتى المرتبطة بالطبيعة، ما يبين أهمية العطاء لدى السلطة العثمانية في الجزائر معتبرة إياه الأساس وركن من أركان الاحتفاء في مناسباتها، وقد جعلت من الفئة العسكرية محورا ثابتا وغالبا ضمن مختلف المنح المقدمة، مما يؤكد الطابع العسكري للسلطة في الجزائر طيلة الفترة العثمانية، وقد كان لعوائد وهدايا الدنوش القيمة الأكبر في العطاء، بالإضافة إلى الهدايا

المقدمة للباب العالي في مختلف المناسبات، ما يبيّن أدوارا ورموزا لهذه العطاءات في بنائها وحفاظها على أسس الدولة.

- شكلت العطاءات الثلاثة: العوائد والإحسانات والصدقات، شكلا من أشكال السخاء السياسي التي حملت في طياتها مختلف الدلالات التي حاولت السلطة كسبها، وانصبّت في مجملها في بناء شبكة من التحالفات وكسب الولاءات والطاعة، وهذا الأمر لا يتجسد بشكل متكامل إلا من خلال نحت صورة أبوية مفخمة عن الحاكم.

قائمة المراجع

1- بوشيبة دهبية. (2016). اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية. الجزائر: جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس.

2- حماش خليفة. (1998). العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 -1830. مصر: جامعة الإسكندرية.

3- حمودي عبد الله. (2010). : الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة يليه مقال في النقد والتأويل (ط4). (ترجمة عبد المجيد جحفة، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.

4- سعد الله أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 (ج1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

5- معاشي جميلة. (2019). الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10هـ/ 16م إلى 13هـ/ 19م) (ط2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

6- 1 - Paradis, V. d. (1898). Alger au 18eme siécle. Alger: Typographie Adolphe Jourdan.